الدراسات الصوتية بين العرب والمستشرقين الألمان
-دراسة مقارنة-

عبد القادر علي زروقي
مركز البحث العلمي والتقني
لتطوير اللغة العربية وحدة ورقلة - الجزائر
aalizerroukiabdelkader@yahoo.fr

رغـد عبـد أبـو جـاسم صـحن
مديرية تربية النجف
العـراق
Raghad_75@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/03/17 تاريخ القبول: 2019/10/02

الملخّـص

احتلـت اللغـة العربيـة مكانـة مرموقـة بـين لغـات العـالم؛ إذ خصّهـا اللـه سـبحانه وتعـالى وشرّفهـا أن جعلهـا لغـة القـرآن الكريـم، فتوجّهـت عنايـة علـماء العربيـة لدراسـتها منـذ القـرن الأوّل الهجـري، فقدّمـوا لنـا تراثًـا ضخـمًا مـن الدراسـات القرآنيـة واللغويـة، ومـع بدايـة البحـث اللغـوي الحديـث في أوربـا ومنهجتـه، انصرفـت عنايـة المسـتشرقين إلى دراسـة اللغـات الشرقيـة عامـة والعربيـة خاصـة لدوافـع عديـدة، مسّـت مجـالات علميـة عديـدة منهـا: الدينيـة، والسياسـية، والعلميـة، واللغويـة وغيرهـا، ولعـلّ أقـوى تلـك الدوافـع، هـو: تلـك الخصائـص المميّـزة للفكـر اللغـوي العـربي وارتباطـه بالقـرآن الكريـم، ومـا اسـتتبعه مـن اهتـمام بعلـم التجويـد والقـراءات، وقـد كان للمسـتشرقين الألمـان جهـودٌ مميّـزة في هـذا الجانـب، وبالخصـوص مـا يتصـل بالجوانـب الصوتيـة للغـة العربيـة. وبحثنـا يـروم الوقـوف عـلى تلـك الدراسـات ومقارنتهـا بنظيراتهـا التـي قـام بهـا العلـماء العـرب في مبحثـين اثنـين؛ يتعلـق أولهـما بعلـم الأصـوات (phonétique)، والآخـر بالفونولوجيـا (phonologie).

الكلمات المفاتيح:

دراسات صوتية - علماء عرب - مستشرقون ألمان - علم الأصوات - فونولوجيا.

المؤلف المراسل: عبد القادر علي زروقي، البريد الالكتروني: aalizerroukiabdelkader@yahoo.fr

Les Etudes Phonétiques entre les Erudits Arabes et les Orientalistes Allemands - Etude Comparative-

Résumé

La langue arabe a occupé une place importante parmi les langues du monde, Dieu l'a choisi pour délivrer le message divin, c'est d'ailleurs pour cette raison que les érudits musulmans se sont penchés à l'étudier dès le premier siècle de l'hégire. Avec le début de la recherche linguistique moderne et méthodique en Europe, un bon nombre d'orientalistes se sont entièrement consacrés à l'étude des langues orientales en général et à la langue arabe en particulier pour de multiples raisons, dont la principale est relative aux traits qui caractérisent la pensée linguistique arabe et son rapport avec le Saint Coran, et l'importance qui a été donnée par la suite à l'art et à la science de la récitation du Coran (Tajwid), un domaine qui a connu une grande contribution de la part des orientalistes allemands notamment les aspects phonologiques de la langue arabe. Notre recherche vise à analyser ces études sur la phonétique et sur la phonologie et les comparer avec celles qui ont été faites par les érudits arabes.

Mots clés:

Etudes phonétiques - érudits arabes - orientalistes allemands - Phonétique-Phonologie.

The Phonetic Studies Between Arab Scholars and German Orientalists -A Comparative Study-

Abstract

The Arabic language occupies an important place among the world's languages, God chose it to deliver His divine message to mankind, and it is for this reason that Muslim scholars began to study it in the first century of the Hegira. With the advent of modern and methodical linguistic research in Europe, many orientalists have devoted themselves entirely to the study of Eastern languages in general and the Arabic language in particular for many reasons, chief among them was related to the features that characterize Arabic linguistic thought and its connection with the Holy Quran, and the importance that was subsequently given to the art and science of Quran recitation (Tajwid), a field that has known a great contribution by German orientalists, especially their studies of the phonological aspects of Arabic. Our research aims to shed light on these studies on phonetics and phonology and compare them with those which were conducted by Arab scholars.

Key words:

Phonetic studies - arab scholars - german orientalists - phonetic - phonology.

مقدمة:

لقد كان لاكتشاف السنسكريتية (لغة الهند القديمة) سنة 1786م من قبل المستشرق البريطاني وليام جونز (William Jones) السبب الأساس لظهور الدراسات المقارنة عند الأوربيين، حيث وجّه الأنظار إلى الدراسة المقارنة على أسس علمية، فكان بذلك نقطة تحوّل في الدراسة اللغوية في أوربا، وغدت الدراسات المقارنة سمة من سمات الدراسات الاستشراقية (عمايرة، 1992، ص 41). وبما أن البحث الصوتي هو أولى عتبات البحث اللغوي؛ فما من لغة تُدرس إلا كان الجانب الصوتي مدخلًا لها؛ فهي « اللبنات التي تشكّل اللغة، أو المادة الخام، التي تبنى منها الكلمات والعبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة» (مختار، 1976، ص 327)، لذلك بذل المستشرقون-على اختلاف منابعهم- جهودًا مميّزة في دراسة الأصوات العربية، فضلًا على تلك المقارنات التي كانوا يعقدوها بين اللغة العربية القديمة والحديثة وبين اللغات الأخرى، فاستعملوا في دراساتهم مناهج عدّة، ومن تلك المناهج (المنهج المقارن)، والذي يراد به: دراسة الظواهر الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة، وبيان العلاقات التاريخية بينها، ويعد المنهج المقارن جزءًا من المنهج التاريخي في دراسة اللغة، إلا أنّه يمتاز عنه بتركيزه على بحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة، لاسيما في اللغات المنتمية لأصل واحد، فضلًا على أن أدّلة المنهج المقارن في أغلبها غير قطعية، إذ يستدل على الظاهرة بالتماسها في نظيراتها، لكنّها تمنحنا في أغلب الأحيان تصوّرًا مقنعًا.

وقد أخذ المستشرقون الألمان مسترشدين بأفكار اللغوي الألماني فرانز بوب (Bopp Franz)- تلميذ المستشرق الفرنسي دوساسي (De Sacy) يطوّرون في جامعاتهم الدراسات المقارنة بإطار تاريخي (روبنز،1997، ص 266)، فاهتموا بإنماء الدراسات اللغوية المقارنة والتاريخية. نتيجة لإعجابهم بالتراث العربي، فوجّهوا عنايتهم إلى الدراسات الصوتية العربية بالبحث والدراسة والتحليل.

وفي ورقتي البحثية هذه، حاولت أن أجري مقارنة بين الدراسات التي قام بها المستشرقون الألمان وتلك التي أنجزها علماء العربية قبلهم، لأقف على وجه الشبه والاختلاف، وأستخرج القيمة المضافة التي جاءت بها المدرسة الاستشراقية الألمانية للصوتيات العربية.

وقد جرى تقسيم بحثي إلى مدخل، ومبحثين أحدهما لعقد مقارنة بين جهود العلماء العرب وما قدّمه المستشرقون الألمان في الجانب الفونيتيكي، والآخر لعقد مقارنة بين الفريقين في الجانب الفونولوجي.

مدخل:

لقد أولى العلماء العرب الدراسات الصوتية اهتمامًا كبيرًا، لارتباط تلك الدراسات بالمحافظة على القراءة السليمة للقرآن الكريم، خصوصًا بعد توسّع رقعة الإسلام، ودخول الأعاجم في هذا الدين الحنيف. فعناية العرب قديمة بالدراسات الصوتية تعود إلى اليوم الذي بدأ فيه اللحن، وما أصاب العربية آن ذاك في نحوها وصرفها ودلالتها، فكان هذا الحرص شأن كل الأمم السابقة، وقد أشار مؤرّخو علم اللغة إلى ظاهرة ارتباط نضج الدراسات اللغوية ولاسيما الصوتية بوجود كتاب ديني مقدّس، كما عند الهنود القدماء (مختار، 1972، ص 46) وغيرهم، وفي هذا السياق يقول فيرث (Firth): « إنّ الدراسات الصوتية نشأت في أحضان لغتين مقدّستين، هما العربية، السنسكريتية» (بشر، 2005، ص 29)، ولم يغب هذا عن المستشرقين الألمان في حديثهم عن الدراسة الصوتية عند العرب، يقول آرثر شاده (Arthur Chaade): « إنّ حدوث علم الأصوات عند العرب مقرون بنشوء علم التجويد « (شاده، 2010، ص 31)، ويقرّر هذه الفكرة برجشتراسر (G.Bergsträsser) أيضًا بقوله: « وقد كان علم الأصوات في بدايته جزءًا من أجزاء النحو، ثم استعار أهل الأداء والمقرئون، وزادوا فيه تفصيلات كثيرة مأخوذة من القرآن» (برجشتراسر، 1994، ص 11).

ولقد أولى المستشرقون الألمان النحو العربي اهتمامًا كبيرًا، وهذا الاهتمام جعلهم يستخلصون منه النظرية الصوتية العربية، فأشاروا إلى أنّ النحو العربي لم يكن

بمعزل عن الدراسات الصوتية، وهذا ما دلّت عليه آراء العلماء العرب والمسلمين، والتي جاءت مبثوثة في تضاعيف كتبهم.

وقد اتّسم المستشرقون الألمان بقدر كبير من الإنصاف فيما يتّصل بأصالة الدرس الصوتي العربي؛ فها هو شاده يقرّر أن الغربيين لم يكن لهم السبق في مجال الدراسات الصوتية، بل أن المشارقة سبقوهم إلى ذلك لاسيما من الهنود، بقوله: « هو علم بذل فيه جهد غير واحد من الشعوب المتمدّنة إلا أنّهم لم يهتدوا إلى معرفته في وقت واحد، ولم ينجحوا فيه على حد سواء، أما الغربيون فلا يعرفون علم الأصوات معرفة تستحق الذكر إلا من مائة سنة على الأكثر، فإن ما كان لديهم قبل ذلك من هذا العلم لم يكد يتجاوز المبادئ الساذجة التي أسّسها اليونان من ألفي سنة، أو بالأحرى كان علمهم يقتصر على بعض التسميات قد ضاع معناها؛ لأنّ الأصوات الموجودة في اللغات الأوربية العصرية تخالف الأصوات اليونانية القديمة كل المخالفة « (شاده، 2010، ص 16)، ولم تكن أقوال اليونان سوى أقوالًا متناثرة في مؤلّفات الفلاسفة تفتقر إلى التكامل والدّقة (السعران، ص 88). ويتحدّث المستشرق شاده في إحدى محاضراته عن جهود الشعوب القديمة في مجال الدراسات الصوتية، منتصفًا للعرب، إذ ردّ مزاعم بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى عدم أصالة علم الأصوات عند العرب، وأنّهم اقتبسوه من الهنود، فيعطي أدلّة على بطلان مزاعمهم في أن مذهب العرب في دراستهم للأصوات يخالف مذهب الهنود من أوجه عدّة، من ذلك اعتماد الأبجدية الهندية على المقاطع، نحو: (خا، حا)، أما العربية فتعتمد على الأصوات المفردة، نحو: (ب، ت، ...) فضلًا عن الاختلاف في الترتيب الأبجدي (شاده، 2010، ص 17). والتشكيك في مسألة أصالة الدراسات الصوتية عند العرب ينفيه شاده بقوله: «نرجّح أن العرب استحدثوا هذا الفن من المدارك العربية بأنفسهم، ولم يقتبسوه من أي شعب غيرهم» (شاده، 2010، ص 30)، أما كارل بروكلمان (Carl Brockelmann) فيذهب أبعد من هذا مقرّرًا حقيقة لغوية عامة، فيقول: « ولا تأثير للهند... في علم الأصوات كما زعم

فوللرز، وإن وجدت بعض المشابهات العارضة اتّفاقًا من طبيعة البحث» (بروكلمان، 1997، ص 445)، وهو محقّ في ذلك، فربما تتشابه الأصوات في ترتيب مخارجها في بعض اللغات.

أسّس التفريق بين الكلام (Parole) واللغة (Langue) الذي جاء به العالم اللغوي السويسري دي سوسير (F. de Saussure) -الذي يعد أبا اللسانيات الحديثة- إلى نشأة علمين صوتيين هما: « علم دراسة أصوات الكلام، وهو علم الأصوات، وعلم دراسة أصوات اللغة، وهو التشكيل الصوتي»(Troubetzkoy, 2016, p. 3)، وكلاهما يبحث في اللغة الإنسانية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه لا يمكن التفريق أو الفصل التام بين هذين العلمين، فهما متلازمان ومتداخلان مما يعسر علينا تمييز أحدهما من الآخر (بشر، 2005، ص 176)، وما دام تحليل النظام الصوتي لأيّ لغة من اللغات يقتضي دائمًا هذين المستويين أعني المستوى الفونيتيكي والمستوى الفونولوجي، لذلك جرت إدارة مباحثي هذه الورقة على هذين المستويين.

1- المقارنة بين العلماء العرب والمستشرقين الألمان في الجانب الفونيتيكي:

يراد بالفونيتيك (Phonétique) « العلم الذي ينظر في الأصوات في حدّ ذاتها، ويدرس صفاتها من حيث إخراجها، بل وحتى من حيث سماعها» (كانتينو، 1966، ص 17)، أي دراسة الأصوات اللغوية منفردة (خارج السياق) من حيث نطقها وانتقالها وإدراكها دون النظر إلى قيّم هذه الأصوات أو معانيها في اللغة المعيّنة، وسنتناول في هذا المبحث المخارج وصفاتها، الجهر والهمس، الشدّة والرخاوة والمصوّتات (الحركات أو العلل).

1.1- مخارج الأصوات:

وصف علماء العربية عملية النطق وأجزاء الجهاز النطقي وصفًا دقيقًا، وصنّفوا الأصوات إلى صنفين (صوامت ومصوتات)، ، بناءً على مخارجها وصفاتها، وحدّدوا مخارج الأصوات وعددها، وأطلقوا على المخرج تسميات مختلفة؛ فسمّاها الخليل (مدارج ومواضع) (الخليل، ص 57)، وأسماها سيبويه (مخارج) (سيبويه، 1988، ص

452)، وهي عند ابن كيسان (ت321هـ) (مجاري)، وعند ابن جني (مقاطع) (ابن جني، 94).

وفيما يتّصل بالمستشرقين الألمان، فأشهر من عني منهم بمخارج الأصوات العربية : برجشتراسر الذي تتبّع منهج سيبويه في دراسة المخارج، واعترض عليه هذه التسمية (المخارج) وعدّ ذلك خللًا؛ معلّلًا الأمر بقوله: « يمكننا أن نلفظ من مخرج واحد أحرفًا عديدة مختلفة في صفاتها، وعلى ذلك فلا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده، دون علامة ثانية هي صفة الحرف. مثال ذلك أنّه إذا أطبقنا الشفتين، ثم فتحناهما، فالصوت الخارج إما الباء، أو الپاء الإفرنجية (p)» (برجشتراسر، 1997، ص 13). وإلى مثل هذا الرأي ذهب المستشرق شاده واقترح مصطلح الموضع بدلًا من (المخرج) (شاده، 2010، ص 23).

كذلك تطرّق المستشرقون الألمان إلى مسألة عدد المخارج، وهي من المسائل الخلافية عند علماء العربية القدامى (الموسوي، 2007، ص 42)، يقول برجشتراسر في هذه المسألة: «وكان أهم اعتناء]هؤلاء[كلّهم، ترتيب الحروف على المخارج والصفات... فاختلفوا في عدد المخارج؛ فمنهم من عدّ سبعة عشر، ومنهم من عدّ ستة عشر، ومنهم من عدّ دون ذلك. والمشهور هو سبعة عشر، لكن أوّلها ليس بمخرج حقيقي» (برجشتراسر، 1997، ص 11)، فهو بهذا التصنيف يوافق علماء العربية القدماء، إذ ذهب أكثرهم إلى أنّ عدد مخارج الأصوات العربية ستة عشر مخرجًا نذكر منهم سيبويه في الكتاب وابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، وابن يعيش في كتابه شرح المفصّل للزمخشري، وابن دريد في كتابه جمهرة أشعار العرب.

2.1- صفات الأصوات:

لأن ثمة عددًا من الأصوات تشترك في مخرج واحد، يتعيّن على دارسي الأصوات تمييزها عن طريق الصفات، وفي هذا السياق يقول المستشرق برجشتراسر: «فلا يكفي لمعرفة الحرف وتمييزه تحديد المخرج وحده، دون علامة ثانية هي صفة الحرف، مثال ذلك: أنه إذا أطبقنا الشفتين، ثم فتحناهما، فالصوت الخارج إما

الباء، أو الپاء الإفرنجية (p). والفرق الأهم بينهما، أنّه إذا نطقنا الباء. وُجِدَ صوت ثان علاوة على صوت فتح الشفتين، وهو صوت خارج من الحنجرة، من اهتزاز الأوتار الصوتية. وعند نطق الپاء (p) ينعدم هذا الصوت» (برجشتراسر، 1997، ص 13)، فالباء العربية والپاء الإفرنجية اشتركتا في المخرج، ولم تتميّز أولاهما عن الأخرى إلا بكون الباء مجهورة، والپاء مهموسة، وصفات الأصوات من المسائل التي وقف عندها علماء العربية قديمًا، ففصّلوا فيها القول تفصيلًا، ومن جملة الملاحظات التي سجلها الألمان حينما وقفوا على الدراسات العربية، أن ثمة بعض الاختلاف بين الصفات التي ذكرها القدامى لأصوات بعينها، وبين مواقع تلك الأصوات كما ينطقها العرب المعاصرون (السلطاني، 2001، ص 84)، ومن تلك الصفات نذكر ما يأتي:

1.2.1- الجهر والهمس:

لم يعرف علماء العربية القدامى الوترين الصوتيين لذلك لم يرد لهما ذكر في حديثهم عن الجهر والهمس فقد كانوا «يجهلون الدور المضبوط الذي تقوم به الأوتار الصوتية» (كانتينو، 1966، ص 34)، والجهر والهمس سمتان مختلفتان للصوامت في اللغات لاسيما في اللغات السامية منها، فالجهر- وهي تسمية عربية- ناتج عن تذبذب الوترين الصوتيين المتزامن مع نطق الصامت نتيجة الهواء المندفع من الرئتين بينهما محدثًا بذلك نغمة موسيقية، وذلك (كالدال والذال والزاي)، أما الهمس فهو على عكس ذلك، إذ لا يتذبذب الوتران الصوتيان فيه (حسنين، 2006، ص 45).

ولقد درس المستشرقون الجهود الصوتية لعلماء العربية ودقّقوا في مصطلحاتهم، فبدا بعضها غامضًا لهم، يقول برجشتراسر: «إنّ لهم اصطلاحات غير اصطلاحاتنا، أصل بعضها غامض، لكن معناها واضح، وهي: مجهور، بمعنى: صوتي، ومهموس، بمعنى: غير صوتي، وشديد، بمعنى: آني، ورخو، بمعنى: متماد. فعندهم حروف مهموسة شديدة ومجهورة شديدة...الخ. فأمّا الحروف المجهورة الشديدة، كالباء،

فلها عندهم إسم خاص، وهي حروف القلقلة» (برجشتراسر، 1997، ص 14).

وعدّ سيبويه الهمزة حرفًا مجهورًا، وعلّل شاده الخلط الذي وقع فيه سيبويه بقوله: «سيبويه عدّ من المجهور الهمزة أيضًا، ولاشك في أنّها ليست من الحروف التي نسميها (Voiced consonants)، لأنّ الهمز هو إغلاق المزمار، ومن البديهي أن مزمارًا مغلقًا لا صوت له، وإذا كان سيبويه قد عدّ الهمزة من الحروف المجهورة، فسبب هذا الوهم غالبًا، إنّه لم يوفّق إلى تجريد الهمزة أبدًا، بل لاحظها دائمًا مشكولة، أو بعد حركة، حتى عزا جهارة هذه الحركة للهمزة نفسها» (شاده، 2010، ص 37-38)، نستخلص من كلام شاده أنّ سيبويه لم ينطق الهمزة لوحدها، بل نطقها مع الحركات، ومن المعلوم أن الحركات من الأصوات المجهورة؛ لذلك أصاب الهمزة الجهر لتأثّرها بما جاورها من حركة وهذا التأثّر أمر شائع في اللغات السامية، يقول بروكلمان: «في كل اللغات السامية يتأثّر النطق الحي، الصوت المهموس بما بعده المجهور فيجهر، وكذلك العكس» (بروكلمان، 1997، ص 75).

2.2.1- الشدّة والرخاوة:

تكلّم علماء العربية القدامى عن الشِدّة والرخاوة بشكل دقيق، فجاءت دراساتهم مطابقة لما وصلت إليه الدراسات الحديثة في أوربا، وقد أشار إلى ذلك المستشرق كانتينو بقوله: «الحروف الشديدة هي الحروف التي نسميها (Occlu-sives) بالذات وتسمى أيضا (حروفًا آنية)، وقائمة الحروف الشديدة التي نجدها عند سيبويه وعند ابن يعيش مطابقة لنظريتنا الحديثة تمام المطابقة « (كانتينو، 1966، ص 35)، وهذا التصنيف قائم على طريقة خروج الهواء من المخرج، فالصوت الشديد يحصل عند حدوثه انغلاق تام في المخرج، ثم زوال هذا الانغلاق بشكل مفاجئ فيندفع الهواء المحبوس بشدّة وقوّة محدثًا صوتًا في شكل انفجار، أما الرخاوة فيكون الانغلاق فيها جزئيًا، حيث يمر الهواء بكل سهولة وسلاسة (بشر، 2000، ص 247)، وهناك حروف بين الشدّة والرخاوة، يوضّح برجشتراسر صفة هذه الحروف بقوله: « إنّهم أثبتوا صفة ثالثة بين الشدّة والرخاوة، وهي: التوسّط،

والحـروف المتوسّـطة كلّهـا مجهـورة عندهـم وهـي: ع، ل، ن، ر، م، فنقـول: إنّـه وإن كانـت هـذه الحـروف إلا العـين، متـمادة بـدون شـك، فلهـم مـع ذلـك حـق في تمييزهـا عـن الرخـوة والمجهـورة «(برجشـتراسر، 1997، ص 14-15)، ومـن بـين الأصـوات التـي أثـارت الخـلاف بـين علـماء العربيـة والمسـتشرقين صـوت الضـاد الـذي تقـترن تسـمية اللغـة العربيـة بـه (لغـة الضـاد).

صـوت الضـاد مـن الأصـوات التـي نالـت اهتمامًـا كبـيرًا مـن علـماء العربيـة والقـراء قدامـى ومحدثـين، ويبـدو أن هـذا الاهتـمام جـذب المسـتشرقين لدراسـته، فتباينـت آراؤهـم واتّجاهاتهـم حولـه، ولعـل أوّل مـن تحـدّث عنـه مـن المسـتشرقين بروكلـمان في كتابـه فقـه اللغـات السـامية، يصفـه بقولـه: «صوتـان رخويـان يتكوّنـان كالسـابقين]ث، ذ بـين الأسـنان[، مـع رفـع مؤخّـرة اللسـان نحـو اللثـة، ونطـق مهمـوز، أحدهـما مهمـوس وهـو (ظ)، والثـاني مجهـور وهـو (ض)» (بروكلـمان، 1977، ص 39)، أمـا برجشـتراسر فـيرى أن الضـاد العتيـق -كـما يسـميه- حـرف غريـب لا يوجـد في أي لغـة غـير العربيـة، وهـو يظـن أنّ الضـاد العتيقـة لا ينطقهـا أحـد مـن العـرب في العـصر الراهـن، فهـي الآن شـديدة عنـد أهـل المـدن بعـد أن كانـت في السـابق رخـوة حتـى أن لفظهـا البـدوي الحـالي ليـس كلفظهـا في السـابق، يصـف نطقهـا العتيـق بـأنّ مخرجهـا مـن حافة اللسـان، ومـن القدامـى مـن يقـول مـن الحافـة اليـسرى وبعضهـم مـن اليمنـى وبعضهـم مـن الجانبـين، فمخرجهـا قريـب مـن مخـرج الـلام مـن حافـة اللسـان، والفـرق بينهـما أن الضـاد مـن الحـروف المطبقـة ذات دوي، والـلام مخفضـة غـير مطبقـة (برجشـتراسر، 1997، ص 18-19)، فللضـاد صفـة أخـرى هـي الإطبـاق أو كـما يسـميها برجشـتراسر في الاصطـلاح الغـربي (emphasis) (برجشـتراسر، 1997، ص 16)، ويرجـع بعـض المسـتشرقين مثـل يوهـان فـك (fük Johan) نطـق الضـاد إلى نظـيره المفخـم وهـو حـرف (الـدال) في أصلهـا القديـم، فيذكـر أنّهـا كانـت تشـابه الضـاد حاليًـا، ويعـود السـبب في تغـيّر هـذا الصـوت إلى اختـلاط العـرب بالمولّديـن، مـما جعلهـم يصفـون الضـاد المولّـدة لا الضـاد الأصيلـة، وذكـر أنّ الضـاد تنطـق بسـت صـور مثـل: الـدال، أو الظـاء، أو الطـاء، أو الـلام،

أو الـدال العاميـة، أو الـدال المفخّمـة.

وعـرض الجـدول الآتي مقارنـة بـين مـا أورده سـيبويه وبعـض الدارسـين العـرب المحدثـين، ومـا ذكـره المسـتشرقون الألمـان بشـأن صفـات الأصـوات العربيـة (الزوينـي، 2010، ص 112):

المخرج	الصفة						
	الصوت	بروكلمان	شاده	برجشتراسر	سيبويه	تمام حسان	غانم قدوري الحمد
شفوي	ب م و	مجهور شديد أنفي متوسط بحسب ما حولها من صوامت	شديد مجهور أنفي	شديد مجهور متوسط رخو	مجهور أنفي شديد لين	مرقق مجهور شديد متوسط أنفي لين	منفتح شديد مجهور أنفي متوسط لين متوسط
شفوي أسناني	ف	مهموس رخو	مهموس رخو	مهموس رخو	مهموس رخو	مرقق مهموس رخو	منفتح مهموس رخو
أسناني	ظ ذ ث	مهموز مهموس مجهور رخو مهموس	مطبق مجهور مجهور رخو مهموس	مطبق مجهور رخو مجهور مهموس رخو	مطبق مجهور مجهور رخو مهموس	مفخم مجهور مرقق مجهور رخو مرقق مهموس	مطبق مجهور منفتح مجهور رخو منفتح مهموس
أسناني لثوي	ض د	مجهور مهموز رخو شديد	مطبق مجهور شديد	مطبق مجهور شديد شديد	رخو مجهور شديد	مفخم مجهور مرقق شديد	مطبق مجهور منفتح شديد
	ط ت	مهموز مهموس هائي شديد	مطبق مهموس شديد	مطبق مجهور شديد مهموس	مطبق مجهورشديد مهموس شديد	مفخم مهموس شديد مرقق	مطبق مهموس شديد منفتح
	ز	مجهور رخو	مجهور رخو	مجهور رخو	مجهور رخو	مرقق مجهور رخو	منفتح مجهور رخو
لثوي	ل ر ن	متوسط أنفي	مجهور جانبي متوسط أنفي	مجهور متوسط	منحرف مكرر شديد أنفي	منحرف جانبي مكرر متوسط أنفي	جانبي مجهور مكرر مجهور متوسط أنفي مجهور
غاري	ش ج ي	مهموس رخو مجهور شديد بحسب ما حولها من صوامت	مهموس رخو مركب مجهور	مهموس رخو مركب مجهور رخو	مهموس رخو مجهور شديد لين	مرقق مهموس رخو مجهور مركب لين متوسط	مهموس رخو مجهور شديد منفتح لين مجهور متوسط
طبقي	ك	هائي مهموس شديد	مهموس شديد	مهموس شديد	مرقق مهموس شديد	مرقق مهموس شديد	مهموس شديد
لهوي	ق غ خ	مهموز مهموس شديد مجهور رخو مهموس	مهموس شديد مجهور رخو مهموس	مهموس شديد مجهور رخو مهموس رخو	مجهور شديد مجهور رخو مهموس	مفخم مهموس شديد مجهور رخو مهموس رخو	منفتح مهموس شديد مجهور رخو مهموس رخو
حلقي	ع ح	مجهور رخو مهموس	مجهور متوسط مهموس رخو	مجهور متوسط مهموس رخو	ما بين الشديد والرخو مهموس رخو	مرقق رخو مجهور مهموس	منفتح رخو مجهور مهموس
حنجري	ء هـ	لا مهموس ولا مجهور مهموس رخو	مهموس شديد رخو	مجهور شديد مهموس رخو	مجهور شديد مهموس رخو	مرقق مهموس شديد رخو	منفتح مهموس شديد رخو

3.2.1- الصوائت (الحركات):

تقتصر الكتابة العربية في إثباتها للرموز الصوتية على الصوامت وما عومل معاملتها (الواو والياء)، وكذا الحال في سائر الكتابات السامية، أما الحركات فلا حظّ لها في السامية عامة والعربية على وجه الخصوص، فكلمة (كَتَبَ) مثلًا تتكوّن من ستة أصوات (كـ َتـ َـب َ-ka ta ba)، ولكنّها تكتب في شكل ثلاثة رموز اعتمادًا على أن الذهن يكمل النقص ويبرزه في النطق بحسب السياق الوارد فيه (شاهين، 1980، ص 34)، والحركات لا تقل أهمية عن الصوامت لما لها من أثر في الإعراب وتعديل الصيغة أو الوزن.

وشغل هذا الأمر جلّ المستشرقين؛ يقول إسرائيل ولفنسون

(Israël Wolfensohn): «إن اللغات السامية تعتمد على الحروف (consonnes) وحدها، ولا تلتفت إلى الأصوات (voyelles) بمقدار ما تلتفت إلى الحروف؛ ولذلك لم يوجد بين الحروف علامات للأصوات كما هي الحال في اللغات الآرية» (ولفنسون، 1929، ص 14).

ويرى شاده أنّ الحركات لا تعد من الحروف عند الساميين عامة والعرب خاصة، فيقول:» لنوجّه أنظارنا إلى حروف لم يعدها العرب وسائر الأمم السامية من الحروف، أعني: الحركات، أما سيبويه ومن قلّده من المتأخّرين، فما يعتبرون الحركة إلا تلوينًا، أو صبغًا للحرف الذي يسبقه... أما الفتحة الطويلة التي يعبّر عنها في الخط العربي بزيادة الألف على الفتحة، فيعتبر سيبويه إمالتها في أكثر الأحوال إمالة للألف؛ وإنّما مؤدّاه إلى هذا الرأي وهمّه أن هذه الألف حرف صحيح، ومن المفهوم أنّها ليست إلا علامة خطيّة يشار بها إلى مدّ الفتح السابق» (شاده، 2010، ص 43- 44).

ولعل ما أجمع عليه المستشرقون هو عدم تمييزهم بين الصوامت والصوائت في الساميات، يقول بروكلمان:» وما يميّز فصيلة اللغات السامية عن غيرها من الفصائل الأخرى يتمثّل قبل كل شيء في الأصوات، وهو رجحان الأصوات الصامتة

على المتحرّكة، ويرتبط المعنى الرئيسي في الكلمة، في ذهن الساميين، بالأصوات الصامتة فيها، أما الأصوات المتحرّكة فهي لا تعبّر في الكلمة إلا عن تحوير هذا المعنى أو تعديله « (بروكلمان، 1977، ص 14-15)، وتتعدّد تعريفات علماء اللغة للحركات إلا أنّها لا تخرج عن ماهية مفادها أنّها: « أصوات تحدث باهتزاز الأوتار الصوتية، وتعدّل بتهيئة اللسان والشفتين» (شاده، 2010، ص 45)، ولعل أبرز تعريف لها نجده عند عالم الصوتيات دانيال جونز (Daniel Jones) يقول فيه:» أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرّض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلًا يمنع خروجه، أو يسبّب احتكاكًا مسموعًا « (عبد التواب، 1997، ص 91)، فمن خلال هذا التعريف يتّضح لنا أن الهواء ينطلق بشكل حر مستمر دون عائق عند نطق الحركات، وتتذبذب الأوتار الصوتية فيؤدّي ذلك إلى جهرها مما يجعلها أشدّ الأصوات وضوحًا في السمع، فضلًا على أنّ للسان والشفتين دورًا كبيرًا في نطقها.

أما مميّزات استعمال الحركات في العربية، فهي:

1- قد تأتي الحركات مفردة ومزدوجة، كما في الإنجليزية نحو: pay [pei] ، لكنها في العربية لا تكون إلا مفردة.

2- تختلف في عددها من لغة لأخرى، ففي العربية ست حركات، ثلاث منها قصيرة رئيسة، وثلاث طويلة، أما في الإنجليزية فعددها إحدى وعشرون (21) حركة.

3- الحركات أصعب من الأصوات الصامتة في النطق.

4- يسبّب الاختلاف في الحركات من لغة إلى أخرى سوء فهم؛ إذ يجنح المتكلّم إلى النطق باللغة التي اعتاد عليها إذا ما أراد أن يتكلّم بلغة أجنبية.

5- الخطأ في نطق الحركات أوضح وأظهر من نطق الأصوات الصامتة؛ لأنّها أوضح في السمع، فتبدو بالخطأ نابية (بشر، 2000، ص 222-223).

ومما سبق نستطيع القول أن العربية الفصحى احتفظت من بين الساميات بأكثر الوحدات الصوتية الموروثة عن اللغة السامية الأم.

2- المقارنة بين العلماء العرب والمستشرقين الألمان في الجانب الفونولوجي:

يراد بالفونولوجيا (Phonologie) العلم الذي «يدرس الأصوات من حيث وظائفها في الاستعمال اللغوي» (كانتينو، 1966، ص 17)، أي دراسة قيمة الأصوات في التركيب، وما بينها من فروق وظيفية (الخولي، 1982، ص 210-212)، كدراسة المقطع والنبر، التنغيم، المماثلة.

1.2. المقطع:

المقطع من خصائص النظام الصوتي للغة العربية، وتكمن غاية الباحثين من التقطيع في حل المشكلات التي تقع في بنية الكلمة، وكيفية التحوّل من مقطع طويل إلى مقطع قصير أو العكس، أو غير ذلك من القضايا التي تحصل للصوت اللغوي، ومصطلح المقطع ليس حديثًا، فقد عرفه اللغويون القدامى وذكروه في مؤلّفاتهم، إلا أنّهم لم يتوسّعوا فيه، واقتصروا على معرفة المعنى العلمي لمفهوم المقطع، وأدركوا المقاطع الرئيسية في لغتنا العربية.

وإذا كانت الأصوات الصامتة والصائتة هي العناصر التي تتكوّن منها الكلمة، فإنّ بين الصوت المفرد والكلمة أجزاء تمثّل مرحلة وسطية هي المقطع، وعرف هذا الأخير تعريفات مختلفة، ولعل ذلك راجع إلى وجود اتّجاهين في تعريفه: اتجاه صوتي، وآخر وظيفي (الموسوي، 2007، ص 119-120).

فهو عند شاده : «كل جزء من أجزاء الكلمة يجوز الوقف عليه بدون تشويه الكلمة، وذلك مثل قطعك كلمة (كاتبْتُ) إلى ثلاثة مقاطع: أوّلها: مطلق طويل، وهو (كا)، والثاني: مقيّد قصير، وهو (تبْ)، والثالث: مطلق قصير، وهو (تُ)» (شاده، 2010، ص 65)، فهو إذن كل جزء منطوق من أجزاء الكلمة يكون نتيجة إخراج دفعات الهواء عند النطق به، ويتكوّن المقطع من مزيج صوامت وصوائت، يتّفق مع طبيعة البنية اللغوية في تلك اللغة، ويعتمد على الإيقاع التنفّسي؛ إذ كل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين ينتج إيقاعًا، هو ما يعبر عنه بالمقطع، ويتألّف في أقل أحواله من صامت وحركة (ص+ح). فكلمة (كَتَبَ) مكوّنة

من ثلاثة مقاطع (كَ/ تَ/ بَ = ba/ta/ka) (شاهين، 1982، ص 38).

ويرى هنري فليش:» أن العرب لم يتحدّثوا عن المقطع، بيد أنّنا نستطيع أن نرى أنّهم تصوّروا العلاقات بين العناصر التي تكوّن المقطع، لقد بحثوا حرف المد والحركة والحرف الصحيح، وهي عناصر ذات وجود بارز في لغتهم» (فليش، ص 85).

وتكمن أهمية دراسة المقاطع في أنّها تعيننا على معرفة الصيغ الجائزة وغير الجائزة في اللغات، ففي العربية مثلًا تعيننا على معرفة نسيج الكلمة العربية من غيرها؛ إذ لا يزيد عدد مقاطعها على سبعة مقاطع -على النادر- مهما اتّصل بها من لواحق أو سوابق، من ذلك (فَسَيَكْفِيكَهُم، أَنَلْزِمْكُمُوهَا)، والغالب أربعة مقاطع، فضلًا على أنّها تعيننا على معرفة موسيقى الشعر العربي وموازينه (الموسوي، 2007، ص 125).

2.2. النّبر:

يتألّف الكلام عادة من ألفاظ متتابعة، وكل لفظ منها يتكوّن من أصوات ومقاطع مترابطة؛ وهي تتفاوت في النطق قوّة وضعفًا بحسب الموقع الذي تقع فيه الكلمة، وغالبًا ما يميل الناطقون بلغة ما إلى الضغط على مقطع من الكلمة لجعله أكثر ظهورًا في النطق وأوضح في السمع من غيره، هذا المقطع المضغوط هو موضع (النبر)، يطلق عليه في الانكليزية (stress). فهو إذن بروز في صوت ما على حساب أصوات أخرى، ويتم ذلك بزيادة اندفاع الهواء الخارج من الرئتين؛ إذ يشتد تقلّص عضلات القفص الصدري للحصول على القوّة المطلوبة لإيضاح الصوت، ويطلق على تلك القوّة (النبر الزفيري) ويسمى ذلك الصوت بالصوت المنبور (حسنين، 2006، ص 93). وقد أشار برجشتراسر إلى ذلك في قوله:» بعض اللغات تضيف... الضغط، يعني أنّها تفرّق بين المقاطع والكلمات، بمقدار القوّة التي تنطق بها أيضًا، فبعض المقاطع قوي كأنّه يصاح به، وبعضها ضعيف كأنه يُهْوَ به « (برجشتراسر، 1997، ص 71).

وعندما تصفّح المستشرقون الدراسات الصوتية عند علماء العربية القدامى

وجدوا أنهم لم يشيروا فيها إلى النبر؛ لذلك اختلفوا في وجوده في العربية، فانقسموا في ذلك إلى فريقين: فريق يقول بعدم وجوده، ومنهم: فليش وبرجشتراسر، وفريق يرى أنه موجود في العربية، ومنهم: بروكلمان، يقول هنري فليش: « نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تمامًا لدى النحاة العرب، بل لم نجد له إسمًا في سائر مصطلحاتهم، تلك التي كانت بالرغم من ذلك وافرة غزيرة. ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أي دور في علم العروض العربي، وهو المؤسّس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحدّدة، فهو على هذا كمي، ولقد لزم واضعوا هذا العروض الصمت إزاء موضوعه، كما فعل النحاة، وقفى على أثرهم المؤلّفون في علم التجويد « (فليش، ص 64). فاللغة العربية بذلك ليست من اللغات النبرية، وهذا ما أكّده المستشرق برجشتراسر بعد أن أبدى تعجّبه:» ومما يتّضح من اللغة العربية نفسها، ومن وزن شعرها، أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد؛ وذلك أن اللغة الضاغطة كثيرًا]ما يحدث[فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها، ومد الحركات المضغوطة. وقد رأينا أن كل ذلك نادر في اللغة العربية « (برجشتراسر، 1997، ص 72).

أما الفريق الآخر الذي أقرّ بوجوده فذهب إلى أن في العربية نبران، نبر للكلمة، ونبر للجملة. يقول بروكلمان: « في اللغة العربية القديمة، يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقّف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخّرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتى يقابل مقطعًا طويلًا فيتوقّف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإنّ النبر يقع على المقطع الأوّل منها « (بروكلمان، 1977، ص 45)، هذا نبر الكلمة في العربية، وفي العبرية يكون النبر في الأسماء دون الأفعال؛ إذ تنبر الأسماء بمدّ الحركات فيها وتبقى قصيرة في الأفعال، أما نبر الجملة فهو شائع في اللغات السامية؛ فتنبر العبرية بالضغط على آخر الجملة، وتنبر العربية بسقوط حركة آخر الكلمة أو التنوين في الكلمة الأخيرة من الجملة (بروكلمان، 1977، ص 46-47)، فهو يكون في حالة الوقف، ويبدو أن عدم وجود علاقة قويّة بين النبر

والمعنى في اللغة العربية هو ما جعل علماء العربية القدامى لا يعيرونه اهتمامًا كبيرًا، لكنّهم أدركوا أثره في تطويل الحركات، كما أشاروا إليه بمصطلحات بعيدة عن الضغط منها (مطل الحركات) (ابن جني، ص 123)، الذي تطرق إليه ابن جني، فضلًا عن عدم استقراره في موضع معيّن من الكلمة.

3.2. المماثلة:

تتأثّر الأصوات اللغوية ببعضها عند تجاورها في كلمة واحدة أو وقوعها في نهاية كلمة وبداية أخرى، إذ تميل اللغات إلى الانسجام الصوتي والاقتصاد النطقي، والعربية غير بعيدة على ذلك، فإذا التقى صوتان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين وكان الأوّل ساكنًا والآخر متحرّكًا، أو أحدهما مهموسًا والآخر مجهورًا، تأثّر أحدهما بالآخر فيحاول كل واحد منهما أن يجذب الآخر ليجعله متماثلًا معه في صفاته كلها أو بعضها (ابن جني، ص 137)، هذا التأثير يسمى في الدراسات الحديثة (المماثلة)، وقد ورد في التراث العربي هذا المفهوم بمسميات عدّة؛ فسماه سيبويه (المضارعة) (سيبويه، 1988، ص 477)، وسماه ابن جني (الإدغام الأصغر) (ابن جني، ص 141).

أما المستشرقون فقد كانت لهم آراؤهم في ذلك، فرأى شاده عند دراسته لآراء سيبويه أنّه هو وجميع نحاة البصرة يسمّون المماثلة إدغامًا: « ومن تقريب حرف إلى حرف من جهة اللفظ ما قد ذكرناه من انتقال (جهارة الدال) إلى (صاد أو شين) سابقة لها، ومنه أيضًا أن حرفًا رخوًا قد يحوّل إلى شديد إذا تلاه شديد والعكس بالعكس... وأكثر ما يحصل من تقريب حرف إلى حرف آخر من جهة اللفظ هو ما يدعوه سيبويه، وسائر البصريين (الإدغام)» (شاده، 2010، ص 59-60)، أما المستشرق برجشتراسر فقد أطلق عليها تسمية (التشابه والتماثل)، وفرّق بين المماثلة والإدغام، يقول: «حروف الكلمة مع توالي الأزمان، كثيرًا ما تتقارب بعضها من بعض في النطق وتتشابه، وهذا التشابه نظير لما سمّاه قدماء العرب إدغامًا، غير أن التشابه والإدغام، وإن اشتركا في بعض المعاني، اختلفا في بعضها؛ وذلك أن معنى الإدغام: اتّحاد الحرفين في حرف واحد مشدّد، تماثلا أو اختلفا، نحو: (آمنّا)

و(ادّعى). أما (آمنّ) فالنون المشدّدة نشأت عن نونين، أوّلاهما لام الفعل، والثانية الضمير، فاتّحادهما إدغام وليس بتشابه، وأما (ادّعى) فأصل الدال المشدّدة: دال وتاء، الدال فاء الفعل، والتاء تاء الافتعال، قلبت دالًا فهذا إدغام وهو تشابه أيضًا «(برجشتراسر، 1994، ص 29)، وهذا تخطيط يمثّل العلاقة بين الإدغام والمشابهة (برجشتراسر، 1994، ص 29):

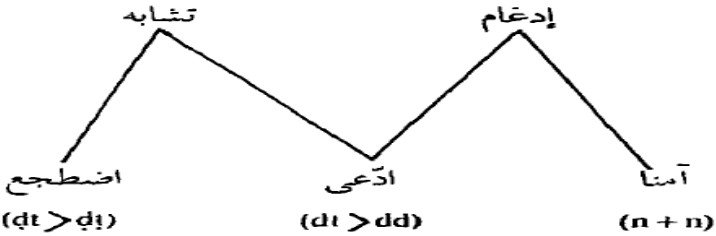

إذن فالعلاقة بين الإدغام والمماثلة علاقة عموم وخصوص؛ فكل إدغام مماثلة وليس كل مماثلة إدغام، ويبقى هذا الباب (المماثلة) واسعًا في اللغة العربية.

4.2. المخالفة:

ويراد بها «نزعة صوتين متشابهين إلى الاختلاف، كما حدث في تحوّل الشين إلى سين في العربية في كلمة (شمس)، فالأصل كما تشير المقارنات مع الساميات هو (شمش)، وكما حدث في تحوّل الراء في (قراط) إلى ياء مديّة، والنون في (دنار) إلى ياء مدّية أيضًا، فصارت صورتهما النهائية قيراط ودينار» (حسنين، 2006، ص 149)، وسميّت المخالفة في التراث العربي بتسميات عدّة، منها: كراهية التضعيف، وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، وغير ذلك (حسنين، 2006، ص 45).

ولقد تنبّه المستشرقون إلى وجود ظاهرة المخالفة في اللغات السامية بين الصوامت والصوائت، والصوامت وأشباه الحركات، والحركات فيما بينها، يقول بروكلمان:» في كل اللغات السامية... يغيّر أحد الصوتين المائعين الموجودين في كلمة واحدة مخرجه، وهذه الظاهرة التي تهم المعجم أكثر من القواعد، لا يمكن عرضها هنا، إلا في بعض الأمثلة الرمزية، ففي العربية (لعلّ) في اللهجات: (لعنّ) وكذلك (علوان) إلى جانب (عنوان)» (بروكلمان، 1977، ص 74)، فتكون بين السواكن وبين

أشباه أصوات المد، وبين أشباه أصوات المد وأصوات المد، وتأتي تقدّمية ورجعية، ومتجاورة وغير متجاورة (موسكاتي وآخرون، 1993، ص 104)، أما في العربية فقد اختلفوا في وجودها، فضلًا عن المواضع التي ترد فيها، فقد استغرب برجشتراسر وجود ظاهرتين متناقضتين، التماثل والمخالفة الصوتية، حيث يطرح سؤالًا مفاده: ما بال اللغة تتشابه فيها الحروف المختلفة في بعض الأوقات، وتتخالف الحروف المتشابهة في بعضها؟ ثم يجيب على سؤاله في أن تشابه العلة فيه ترجع إلى الأعصاب والعضلات وحركتها؛ إذ تجنح إلى اختصار النطق كما الأمر في نطق (جنب) بـ (جمب).

أما التخالف فيرى أن العلة فيه نفسية محضة تشابه الخطأ في النطق إذا تتابعت الحروف المتشابهة، وهو نوعان: منفصل ومتّصل. فالمنفصل -وهو الغالب- ما كان بين حرفيه فارق، نحو: (اخضرض) تنطق (اخضوض) بإبدال الراء الأولى واوًا لمجاورتها مثلها، أما المتّصل فهو ما تجاور فيه الحرفان المتشابهان، لاسيما الحروف المشدّدة، نحو: (فرقع) أصلها (فقّع -فقْقَع)، ويرى برجشتراسر أن العلة النفسية في ذلك؛ أن المتكلّم يرجو التأثير في نفس السامع عن طريق الضغط والتشديد (برجشتراسر، 1994، ص 33-35).

وأما المماثلة عند شاده فقد سمّاها بـ (تبعيد الحروف عن بعضها)، أما عن موضعها فيذكر أن سيبويه لم يذكر لها إلا موضعين اثنين، يقول: « وإذا كنا لم نذكر لغاية الآن، إلا تقريب الأصوات من بعضها... فليس معناه أن عكس ذلك -أعني تبعيد الحروف عن بعضها- لا يوجد في العربية، إلا أن سيبويه -على ما أرى- لم يلاحظ لتبعيد الحروف إلا موقعًا واحدًا، وهو تخفيف همزة عند التقاء همزتين... وهنا موقع ثان لاحظ فيه سيبويه شيئًا من التبعيد، إلا أنّ ذلك التبعيد لا يختص بحرفين، بل بحركتين، وهو إن الضمير المتّصل للغائب تقصر حركته بعد حركة طويلة «(شاده، 2010، ص 63-64)، ويبدو أن كلام المستشرق شاده بشأن سيبويه تعوزه الدّقة؛ إذ عقد سيبويه في كتابه بابًا اسماه (ما شذ فأبدل من اللام الياء

لكراهيـة التضعيـف) (سـيبويه، 1988، ص 424).

وأمـا المخالفـة بـين أشـباه الحـركات، فقـد ضرب لهـا بعـض المسـتشرقين أمثلـة كثـيرة، مثـل (وواقـي) التـي صـارت (أواقـي)، و(مدينـي) التـي صـارت (مـدني) (بروكلـمان، 1977، ص 77).

مهـما يكـن مـن أمـر، فـإنّ ظاهـرة المخالفـة ظاهـرة عامـة في اللغـات السـامية، وقـد أشـار إليهـا علـماء السـاميات، ومثّلـوا لهـا بأمثلـة كثـيرة.

خاتمة

نخلص في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

1- قـرر المسـتشرقون الألمـان أصالـة الـدرس الصـوتي العـربي، وتميّـزه عن نظـيره الهندي، وتفوّقـه عـلى مـا ورد عـن قدمـاء اليونـان في هـذا الشـأن. ويعـد كتـاب ابـن جنـي (سر صناعـة الإعـراب) الـذي وضعـه في القـرن الرابـع الهجـري (ق4هـ) مـن المباحـث الصوتيـة المتكاملـة التـي اسـتقر فيهـا المصطلـح الصـوتي، في حـين لم تصـل الدراسـات في أوربـا إلى النضـج إلا في القـرن الثامـن عـشر.

2- وافـق المسـتشرقون الألمـان الدارسـين العـرب القدامـى في مخـارج أغلـب الأصـوات وعـدد تلـك المخـارج، وترتيبهـا، ولكنّهـم اختلفـوا معهـم في صفـات بعـض الأصـوات (كالطـاء، والضـاد، والقـاف) لاعتبـارات موضوعيـة.

3- لم يـشر القدمـاء إلى النـبر؛ لأنّـه لا يـؤدّي في العربيـة وظيفة، لكن وجدنا المسـتشرقين يحـدّدون بعـض مواطنـه بالاعتـماد عـلى السـاميات، أمـا التنغيـم فلـم تخلـو العربيـة منـه، مـع أن علـماء العربيـة لم يضعـوا لـه رمـوزًا خاصـة، لكنّـه يـؤدّي إلى تغيـير المعنـى بحسـب تنغيـم الجملـة.

4- أدرك علـماء العربيـة القدامـى أثـر الوتريـن الصوتيـين في الأصـوات ووضعـوا مصطلحـي الجهـر والهمـس؛ لكنّهـم لم يعرفوهـما لعـدم وجـود أجهـزة آنـذاك تسـاعدهم في الكشـف عنهـما.

5- تنبّـه المسـتشرقون إلى وجـود ظاهـرة المخالفـة في اللغـات السـامية، وأرجعـوا علّـة

التشابه إلى الأعصاب والعضلات وحركتها؛ والاقتصاد في الجهد اللغوي، أما التخالف فالعلة فيه نفسية محضة تشابه الخطأ في النطق إذا تتابعت الحروف المتشابهة، وفرّقوا بين إدغام ومماثلة، فالعلاقة بين الإدغام والمماثلة علاقة عموم وخصوص؛ فكل إدغام مماثلة وليس كل مماثلة إدغام.

6- أفاض المستشرقون في دراسة الضاد القديمة، ووصلوا إلى أنّها حرف غريب لا يوجد في أي لغة غير العربية، والضاد العتيقة لا ينطقها أحد من العرب في العصر الراهن، فهي الآن شديدة عند أهل المدن بعد أن كانت في السابق رخوة، حتى أن لفظها البدوي الحالي ليس كلفظها في السابق.

7- احتفظت العربية الفصحى من بين الساميات بأكثر الوحدات الصوتية الموروثة عن اللغة السامية الأم.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربيّة:

- مختار، أحمد عمر. (1972). البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب. دط. دار الثقافة. بيروت. لبنان.

. (1976). دراسة الصوت اللغوي، ط1، مطابع سجل العرب. القاهرة. مصر.

- ولفنسون، إسرائيل، (1929). تأريخ اللغات السامية. ط 1. مطبعة الاعتماد. مصر.
- عمايرة، إسماعيل أحمد. (1992). المستشرقون والمناهج اللغوية. ط2. دار حسنين. عمان. الأردن.
- برجشتراسر. (1994). التطوّر النحوي للغة العربية. ط2. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر .
- بروكلمان. (1977). فقه اللغات السامية. دط. جامعة الرياض. الرياض. السعودية.

. (1997). تاريخ الأدب العربي. دط. مطبوعات جامعة الرياض. الرياض. السعودية.

- ابن جني. (دت). الخصائص. ط4. الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- عبد التواب، رمضان. (1997). المدخل إلى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي. ط3. مطبعة الخانجي. القاهرة. مصر.
- سيبويه. (1988). الكتاب. ط3. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر.
- شاده، آرثر. (2010). «علم الأصوات عند سيبويه». مجلة آداب الرافدين. جامعة الموصل. العراق. العدد 58.
- حسنين، صلاح. (2005-2006). المدخل في علم الأصوات المقارن. دط. مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- الزويني، عبد الحسن عباس حسن الجمل. (2010). «البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان». رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق.
- شاهين، عبد الصبور. (1982). المنهج الصوتي للبنية العربية –رؤية جديدة في

الصرف العربي. دط. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان.
- السلطاني، فارس حسن محسن. (2001). «جهود المستشرقين اللغوية في اللغة العربية المترجمة والمطبوعة»، أطروحة دكتوراه. كلية التربية.،جامعة بغداد، العراق.
- كانتينو، جان. (1966). دروس في علم أصوات العربية. دط. الجامعة التونسية. تونس.
- بشر، كمال. (2000). علم الأصوات. دط. دار غريب. القاهرة. مصر.
. (2005). التفكير اللغوي بين القديم والحديث. دط. دار غريب. مصر.
- الخولي، محمد علي. (1982). معجم علم اللغة النظري (إنجليزي-عربي). ط1، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، السعودية.
- السعران، محمود. (دت). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. دط. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.
- موسكاتي، وآخرون. (1993). مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ط1. عالم الكتب، بيروت. لبنان.
- فليش، هنري. التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب. دط. مكتبة الشباب. مصر.

باللغة الأجنبية

- Troubetzkoy ,Nikolaï. (2016). Principes de Phonologie- les fiches de lecture. Encyclopaedia Universalis. France.